



مشاركة المرأة في الثورة الإسلامية في خطابات قادة الثورة

■ "من كتاب إيران، ثورة وانتصار / د. نور الدين ابولحية

من أهم ميزات الثورة الإيرانية أنها ثورة شعبية بامتياز، ذلك أن المشاركين فيها لم يكونوا طرفاً واحداً من أطراف الشعب، وإنما كانوا جميع الشعب، وبجميع شرائحه وطبقاته، ولذلك يرى من يشاهد الأشرطة الوثائقية التي تصور الثورة الإسلامية الحضور من كل الأصناف نساء ورجالاً.. شباباً وكهولاً وشيوخاً.. ومن كل المستويات الاجتماعية من الفقراء والأغنياء، والمتعلمين وغيرهم.. وهكذا شارك الجميع بعد الثورة في كل القرارات المتخذة عبر الانتخابات الكثيرة التي دعا إليها قادة الجمهورية الإسلامية، وفي أحلك الظروف، وكان المرشحون فيها من أفراد الشعب البسطاء، والذين وصلوا إلى كل المؤسسات من دون أن يحول بينهم وبينها أي حائل. وهنا نكتفي بالإشارة إلى شهادتي إمامي الثورة الإسلامية الإيرانية- باعتبارهما الموجهين والمرشدين والمحركين لكل الأحداث- حول دور المرأة ومشاركتها في الثورة الإسلامية.

- مشاركة المرأة في الثورة الإسلامية

عند مطالعة خطب قادة الثورة الإسلامية الإيرانية أو بياناتهم المختلفة، نجد شهادات كثيرة على الدور العظيم الذي قامت به المرأة، إلى درجة اعتبارها ركناً من أركان الثورة، وأنه لم تكن الثورة لتنجح من دونها، بل إن الإمام الخميني يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقول: (لو جردوا الأمم من النساء الشجاعات والمربيات للإنسان فسوف تهزم هذه الأمم وتؤول إلى الانحطاط)(١)

ولذلك وضع لها يوماً خاصاً بها، وبتكريمها، وهو يوم ولادة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص)، وقد قال مبيناً سر هذا الاختيار: (مبارك للشعب الإيراني العظيم، وخصوصاً النساء المحترمات، يوم المرأة المبارك، اليوم المجيد لتلك الجوهرة اللامعة التي كانت على الأساس للفضائل الإنسانية والقيم العالية لخلافة الله في العالم)(٢)

وفي خطبة له بتلك المناسبة في سنة الانتصار بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ قال مخاطباً النساء: (يوم عظيم واجتماع كبير ومحل مبارك، يوم ولادة الزهراء المرضية، يوم المرأة، يوم انتصار المرأة، ويوم المرأة القدوة في العالم.. إن للمرأة دوراً كبيراً في المجتمع. المرأة هي مظهر تحقق آمال البشر، المرأة تربي جمعاً غفيراً من النساء والرجال العظماء.. يوم عظيم، اليوم ولادة امرأة تعدل جميع الرجال، امرأة نموذج للإنسان، امرأة تجلت فيها كل الحقيقة الإنسانية. إذا اليوم يوم عظيم. أنه يوم يمكن أيتها النساء)(٣)

ثم ذكر الأدوار الثورية للمرأة الإيرانية، فقال: (لقد أثبتت النساء في عصرنا أنهن تعدلن الرجال في الجهاد بل متقدمات عليهم.. إن نساء إيران جاهدن جهاداً إنسانياً عظيماً، وكذلك جاهدن جهاداً مالياً كبيراً.. إن هذه الطبقة المحترمة من النساء من أبناء جنوب طهران ومدينة قم وبقية المدن، هذه السيدات المحجبات، هذه المؤمنات اللاتي يمثلن مظهر العفاف، كنّ سابقات في النهضة في الإثارة بالمال أيضاً.. لقد آثرن المستضعفين بمجوهراتهن وحليهن)(٤)

ولم تقتصر مشاركتهن على ذلك، بل يذكر الإمام الخميني أن (مشاركتهن في النهضة أعظم من قيمة أعمال الرجال، لقد خرجن بجلايب العفاف، واتحدت أصواتهن مع الرجال وحققن النصر، وقدمن الآن للمستضعفين وبنية خالصة ما ادخرنه في أيام عمرهن.. إن لهذا قيمة، إن الأغنياء لو دفعوا

الملايين لما كانت قيمتها كهذه) (٥)

وقال في خطاب آخر في نفس المناسبة - رداً على أولئك الذين يتصورون أن المرأة التي قامت بالثورة هي المرأة المتحررة من القيم، لا الملتزمة بها -: (لقد رأينا أن العضو الفعال الذي يمكنه العمل، والذي عمل لهذه الثورة وخدمها، هو أنتن [يقصد النساء الملتزمات].. أنتن اللاتي نزلتن إلى الشوارع بهذا الوضع الذي أنتن عليه الآن وسرتن بالثورة قدماً.. أما اللاتي تربين على ثقافة النظام المباد، وساهمن في هذه الثورة، فهن اللاتي كان لهن وضع يشبه وضعكن. أما البقية اللواتي تمت تربيتهن بذلك الشكل فلم يكن لهن اهتمام بهذه المسائل. كما أن بعض الرجال أيضاً لم يكن لهم دور أبداً في هذه الثورة. وقد جاءوا الآن للاستيلاء على الغنائم. الآن وقد قامت هذه الطبقة المستضعفة، الطبقة التي يعتبرها الآخرون ضعيفة وقد كانت قوية بحمد الله، الطبقة التي يسميها هؤلاء بالطبقة الثالثة - وفي حقيقتها هي الطبقة الأولى وهم الطبقة الثالثة لجهنم بل السابعة - قامت هذه الطبقة بالعمل من أجل خدمة البلد، وحطمت السد الكبير وفتحت الطريق. فتدفق الآن السادة من أمريكا وأوروبا إلى هنا للاستحواذ على الغنائم. بعض النساء اللاتي لم يكن لهن دور أصلاً في هذه الأحداث آتين الآن لجني الثمار.. أما أنتن فلا يوجد لديكن أية توقعات، حفظكن الله ومنّ عليكن بالسعادة، لقد كنتم خدم الإسلام، وكذلك الآن ولم تطالبن بشيء. لقد قمتم بالخدمة، وستقمن بها في المستقبل)(٦)

وقال رداً على المغرضين الذين يتصورون أن وضع المرأة الإيرانية في عهد الشاه كان أفضل منه بعد انتصار الثورة: (إن المرأة قد ظلمت في مرحلتين، الأولى في الجاهلية، فالمرأة كانت في الجاهلية مظلومة، وقد منّ الإسلام على الإنسان بأن أنقذ المرأة من تلك المظلومية التي كانت تحت وطأتها.. والمرحلة الثانية لظلم المرأة كانت في إيران في عهد الشاه الأب والشاه الابن، حيث ظلمت المرأة تحت شعار تحرير المرأة.. لقد أسقطوا المرأة من المقام العزيز والشريف الذي كان لها، أسقطوها من ذلك المقام المعنوي وجعلوها سلعة من جملة السلع، وباسم الحرية، حرية النساء وحرية الرجال، سلبوا الحرية من الرجل والمرأة.. لقد أفسدوا أخلاق نساءنا وشبابنا.. لقد كان الشاه يرى ضرورة أن تحتل المرأة مكانها ك (ساحرة).. طبعاً كان ينظر

للمرأة بتلك العين الحيوانية التي كانت له، بتلك النظرة المادية الوضيعة، يجب أن تكون ساحرة.. لقد أسقط المرأة من مقام الإنسانية إلى مرتبة حيوان، لقد أنزل المرأة من مقامها بحجة أنه يريد إعطاء مقام لها.. لقد جعل من المرأة دمية في حين أن المرأة إنسان، بل إنسان عظيم، المرأة مربية للمجتمع.. المرأة مربية للإنسان.. سعادة وشقاء الدول رهن وجود المرأة، فالمرأة بتربيتها الصحيحة تصنع الإنسان، وتربيتها الصحيحة تحيي المجتمع.. والمرأة يجب أن تكون مبدأ جميع السعادات)(٧)

ثم ذكر دور المرأة الملتزمة في الثورة والتحرير والنصر، فقال: (لقد شاهدتم وشاهدنا نحن ماذا صنعت المرأة في هذه الثورة. لقد شاهد التاريخ أية نساء كنّ في الدنيا، ومن هي المرأة.. وقد رأينا أية نساء رباهن الإسلام، أية نساء ثرن في هذا العصر، إن اللاتي نهضن وساهمن في الثورة هن النساء المحجبات في جنوب المدينة وفي قم وبقية المناطق.. أما اللاتي نشأن في ظل الثقافة الشاهنشاهية، فلم يكن لهن دور أبداً في هذه النهضة، لقد تم تربيتهن تربية فاسدة وأبعدوهن عن التربية الإسلامية، وأما اللاتي تربين بتربية إسلامية فهنّ اللاتي قدمنّ الدماء، قدمنّ القتلى، تدفقن إلى الشوارع، وحققن النصر للثورة.. إننا نعتبر نهضتنا مدينة للنساء.. كان الرجال ينزلون إلى الشوارع تبعاً للنساء.. كانت النساء تشجع الرجال، كانت النساء في الصفوف الإمامية.. المرأة موجود بهذا المستوى تستطيع أن تحطم قوة شيطانية)(٨)..

وهكذا نرى الإمام الخميني يشهد للمرأة بمشاركتهن الفعالة في الثورة، وكونها سبباً



الإمام الخميني: (المرأة في بلادنا قادرة اليوم على إبراز شخصيتها مع حفاظها على رصانتها ووقارها وحجابها الإسلامي في ميدان السياسة والفعاليات السياسية والاجتماعية والجهادية ومّد يد العون للشعب والثورة والمشاركة في مختلف الساحات).



والملايس والذهب ويجعلوا منها وسيلة يُستفاد منها في بلوغ العديد من الغايات وأن لا يسمحو لها بدخول ميدان السياسة والأخلاق والتربية؟ هذا ما كان يتم تنفيذه في النظام السابق بدقة وتخطيط (١٠)

أما بعد الثورة الإسلامية، فقد تغير الوضع تماماً - كما يذكر الإمام الخامنئي - حيث (جاءت الثورة وغيّرت نمط تعامل النساء وتوجّهات نساء بلادنا مئة وثمانين درجة؛ أي تمّت إدارة الظهر لتلك التوجّهات والسير في اتجاه النور والنمو والإدراك العلمي والأخلاقي والسياسي والمشاركة.

الهوامش والمصادر

- (١) من حديث في جمع من نساء قم، بتاريخ ١٦/٣/١٩٧٩، المرأة في فكر الإمام الخميني (ص: ٥)
- (٢) الكلمات القصار صفحة ٢٨٥..
- (٣) صحيفة الإمام، ج٧، ص: ٢٥٥.
- (٤) المرجع السابق، ج٧، ص: ٢٥٥.
- (٥) المرجع السابق، ج٧، ص: ٢٥٥.
- (٦) المرجع السابق، ج٧، ص: ٢٤٨.
- (٧) المرجع السابق، ج٧، ص: ٢٥١.
- (٨) المرجع السابق، ج٧، ص: ٢٥٢.
- (٩) خطاب للإمام الخامنئي بتاريخ ١٦/١/١٩٩٠.
- (١٠) المرجع السابق.

إبراز شخصيتها مع حفاظها على رصانتها ووقارها وحجابها الإسلامي في ميدان السياسة والفعاليات السياسية والاجتماعية والجهادية ومدّ يد العون للشعب والثورة والمشاركة في مختلف الساحات (٩)

ثم قارن بين وضع المرأة بعد الثورة الإسلامية، وقبلها، فقال: (في النظام السابق، مع كون كثير من النساء أميات ولا يدركن شيئاً من القضايا الاجتماعية - أي أنهم لم يكونوا ليسمحو لهنّ بالتعرّف على أي شيء - وقد كنّ أيضاً لا يبالين بمصير البلاد ولم يكنّ يدركن أبداً أن المرأة يمكن لها أن يكون لها تأثير على مصير البلاد، مع وجود هذه الأمور من حيث الظاهر، كنّ شبه أوروبيات وفي بعض الأحيان كنّ تخطّين حالة النساء الغربيّات والأوروبيّات وكان من يراهنّ يظنّ أنّ هذه المرأة قد قدمت من بلد أوروبي ومن بيئة غربيّة إلى إيران؛ لكن عندما كنت تحدّثها قليلاً، كنت ترى أنّها امرأة غير مثقّفة أو تملك مستوى متدنّياً من الثقافة، كانوا يجبرون المرأة على صناعة شخصيّة وهميّة لنفسها من خلال إبراز نفسها وجذب العيون نحوها. لقد كان هذا انحطاطاً للمرأة ولم يكن تقدّماً. هل تمّ ارتكاب جريمة أعظم من هذه بحق المرأة بأن يقوموا بإشغال فكرها بالزينة والموضة والتفاخر

كبيراً من أسباب انتصارها، وأنها لها الحق لذلك في أن تنال جميع حقوقها التي طالبت بها، ومن تلك الخطابات قوله: (لقد باتت المرأة الإيرانية تخطو في مسار مميّز ببركة الثورة الإسلامية.. المرأة الإيرانية قادرة اليوم على الدخول في ميدان العلم وقطع أشواط في الحقول العلميّة مع حفاظها على دين، عفة، تقوى، وقار، رصانة، شخصية وحرمة المرأة المسلمة أيضاً. كما أنّ المرأة باتت قادرة أيضاً على الدخول في ميدان العلوم والمعارف الدينيّة دون أن يقف بوجهها أيّ حاجز.. المرأة في بلادنا قادرة اليوم على



الإمام الخامنئي (جاءت الثورة وغيّرت نمط تعامل النساء وتوجّهات نساء بلادنا مئة وثمانين درجة؛ أي تمّت إدارة الظهر لتلك التوجّهات والسير في اتجاه النور والنمو والإدراك العلمي والأخلاقي والسياسي والمشاركة.